اغتيال الرئيس مرسى

الاثنين 9 يوليو 2012 12:07 م

فهمي هويدي :

على شاشة التليفزيون قال السيناريست الشهير إنه يريد من الرئيس محمد مرسى أن يحدد موقفا واضحا من أمرين هما مسألة بيع قناة السويس والتنازل عن بعض أرض سيناء للفلسطينيين. كان الرجل يتكلم بثقة موحية بأن الأمر جد ولا هزل فيه. حتى خيل إلىَّ أنه سوف يسترسل فى التساؤل عن احتمالات بيع أهرامات الجيزة. واحتكار إحدى شركات المياه الغازية لمياه نهر النيل، وتأجير دلتا النيل مفروشة للمستثمرين والسياح العرب والأجانب!

المشكلة بالنسبة لى لم تكن فى الإجابة عن التساؤل، ولكنها كانت فى الحالة العقلية والنفسية التى جعلت صاحبنا مستعدا لتصديق إمكانية بيع قناة السويس أو التنازل عن جزء من سيناء. وهى الفكرة التى لا يصدقها أى أبله أو معتوه فى مصر.

لست أشك فى أن الرجل يدرك استحالة حدوث ما استفسر عنه، ويعرف أن الإجابة عن السؤالين بالنفى قطعا، بالتالى فإنه لم يكن ينتظر الإجابة بقدر ما أراد أن يُحدث نوعا من البلبلة تجعل السؤال واردا. وهو ما تعلمناه فى الصنعة ضمن فنون الغمز واللمز. التى يكون السؤال فيها أهم وأخطر من الإجابة، لأنه يستدعى إلى ذهن المتلقى ما لا يخطر على البال.

كنت قد سمعت هذه التساؤلات على لسان الفريق أحمد شفيق أثناء حملته الانتخابية، ورغم أنه بدا صادما آنذاك، إلا أننى اعتبرته من تجليات الصراع الشرس الذى دار بين المتنافسين على الرئاسة، والذى بدا فيه أن ما ليس معقولا صار مقبولا ومعقولا (ترشيح الفريق أحمد شفيق وقبله اللواء عمر سليمان نموذج لهذه الحالة). ولم يخطر على بالى أن يستمر القصف باستخدام ذات الأساليب والأسلحة بعد انتهاء المعركة، لكن كلام السيناريست المحترم خيَّب ذلك الظن. وحين توازى إطلاق كلامه مع بث بعض البرامج التليفزيونية التى شنت هجوما عنيفا وجارحا ضد الدكتور محمد مرسى، بدأت أنظر إلى الحملة من زاوية مختلفة، ذلك أن بعض مقدمى تلك البرامج مارسوا بحق الرجل مستوى من «الردح» المتدنى غير مسبوق وغير مألوف. حينئذ تراجع عتابى نسبيا على السيناريست. وقلت إن سؤاله كان خبيثا وسمجا حقا، لكنه كان مؤدبا فى طرحه، فى حين أن البرامج التى أعنيها لم تكن أبعد ما تكون عن أدب الحوار بمفهومه المهنى فحسب، ولكنها كانت بعيدة عن الأدب بمفهومه الأخلاقى والتربوى، الذى يتلقاه الأبناء فى البيوت منذ نعومة أظافرهم.

وسائل الإعلام شاركت فى الحملة على نحو يثير الدهشة ويصعب تصديقه. إذ بات مألوفا أن تنشر بعض الصحف الصفراء عناوين تتصدر صفحاتها الأولى من قبيل: الرئيس الفضيحة ـ الرئيس عاجز ـ الفاشى فى قصر الرئاسة ـ الرئيس الخادم ـ رئيس فى خدمة الأمريكان ـ وفى خدمة قطر ـ وصنع (الرئيس) فى أمن الدولة ـ عضو بالكونجرس يقول أمريكا اشترت مرسى بـ50 مليون دولار ـ محمد مرسى الأسطورة الكاذبة ـ مرسى يدير مصر بلعبة الثلاث ورقات...إلخ.

هذا قليل من كثير نشر خلال الأيام العشرة التى أعقبت أداء الرئيس لليمين القانونية. وهو من قبيل اللا معقول الذى تحفل به الصحف المصرية هذه الأيام، ويوجه إليه بجرأة غير عادية إهانات يومية وسبابا يقع أغلبها تحت طائلة القانون، الأمر الذى يعيد إلى أذهاننا ما جرى فى ستينيات القرن الماضى، حين سافر الرئيس عبدالناصر فى رحلة إلى باكستان، وفى يوم وصوله نجحت أجهزة الأمن من اصطياد سفاح مطارد وقتله. حينذاك خرجت صحيفة الأخبار بعنوان على صفحتها الأولى يقول «مصرع السفاح»، وتحته عنوان آخر تحدث عن «عبدالناصر فى باكستان». واتهمت الجريدة بسوء القصد فى ذلك الحين، لأن قراءة العنوانين فى جملة واحدة أعطت انطباعا أغضب الرئيس بشدة. وكانت تلك ذريعة استخدمت لتأميم كل الصحف المصرية فى شهر مايو عام 1960.

وليس بعيدة فى أذهاننا قصة جريدة الدستور ـ الأولى ـ التى نشرت فى عام 2007 تقريرا تحدثت فيه عن مرض الرئيس السابق حسنى مبارك، وبسببه قدم رئيس تحريرها الزميل إبراهيم عيسى للمحاكمة، وصدر ضده حكم بالحبس ستة أشهر خفضت إلى شهرين، لكن الرئيس عفا عنه بعد ذلك.

الخلاصة أننا لم نعرف فى التاريخ المصرى المعاصر جرأة على كرامة رئيس الدولة مماثلة لتلك التى تمارس فى وسائل الإعلام هذه الأيام. ولا أستطيع أن أفترض البراءة فيما يجرى، لأننا إذا فهمنا حدوثه أثناء المعركة الانتخابية، فإن الأمر لابد أن يختلف بعد انتخاب الرئيس. ولا مفر من الاقرار بأن استمرار الحملة بنفس الشراسة وبذات اللغة الهابطة والتطاول المعيب لا علاقة له بحرية التعبير، التى نعلم أن لها ضوابط وآدابا وسقفا. ولست مشغولا بما سيفعله الرئيس فى هذه الحالة، فذلك شأنه هو وفريقه. لكنى أكثر ما يهمنى هو تفسير الحملة التى يراد بها تدمير صورة الرئيس والحط من قدره وكرامته. لأننى أشم فيما يجرى رائحة اغتياله بواسطة الإعلام بعد

فشل إسقاطه من خلال الانتخابات وتصبح تلك الرائحة أقوى وأشد إذا وضعت الحملة الإعلامية التى يقودها عناصر ليست بعيدة عن الدولة العميقة جنبا إلى جنب مع محاولات إثارة الفوضى وتوسيع نطاق المطالبات والإضرابات الفئوية لذلك فالسؤال المطروح هو: هل المراد إفشال الرئيس بعدما خاب أمل إسقاطه؟ ولحساب من يحدث ذلك؟